مصر ، وبين حسين ، شريف مكه ، الناطق المسلم به باسم القضية العربية ، تلك المراسلات التي توصلت الى اتفاقية تعهدت فيها بريطانيا بالاعتراف بـ ومساندة استقلال العرب ، بعد اندحار تركيا ، لقاء دعم العرب لبريطانيا في الحرب [العالمية الاولى] .

وادعى ونستون تشرشل ، عام ١٩٢٢ ، عندما كان وزيرا للدولة لشؤون المستعمرات ، ان عهود مكماهون لم تشتمل على فلسطين(١٣). وأشار سيمور كوكس الى أن ادعاء تشرشل لا يستند الى ما جرى في المراسلات ، واقتبس مقاطع تظهر حيازته لنسخ مضبوطة من المراسلات التي كانت حتى ذلك الحين وثائق مكتومة . ومن الواضح الان ، ان تشرشل كان يضلل البرلمان بمحاولته تبرير السياسات الازدواجية ازاء الشرق الاوسط ، التي انتهجتها الحكومات الائتلافية برئاسة ديفيد لويد جورج خلال الحرب وفي أعقابها .

وبين سيمور كوكس ان العهود قطعتها بريطانيا للعرب قبل تصريح بلفور بعامين ، وان تلك العهود كانت تتعارض بصورة مطلقة مع ادعاء الصهيونيين ان لهم حقا في أن يجعلوا من فلسطين دولة يهودية، تماما مثلما هي انجلترا انجليزية . وأضاف سيمور كوكس : « ان كل وضعنا في بلاد الشرق ، كما يمكن لاي شخص أن يقر ويعترف ، لا يستند الى قوتنا العسكرية المجردة ، ولكنه يقوم على ايمان الشعوب الشرقية بأن حكمنا لهم يرتكز — اجمالا — على مبادىء العدالة . لكن العرب لديهم احساس متزايد بأننا حصلنا على معونتهم في الحرب لقاء ما قطعناه على أنفسنا من عهود ووعود ، وان الحرب قد انتهت دون ان نبدي الرغبة بالوفاء بعهودنا ، بل قمنا بطمس وكتمان المراسلات »(١٤).

« بيان منصف ومتوازن »

كان سيدني ويب وزير الدولة لشؤون المستعمرات في حكومة الاقلية العمالية الثانية . كان في ذلك الحين قد اعتزل مجلس العموم في انتخابات عام ١٩٢٩ ، لكنه وافق على تسلم وزارة الدولة لشؤون المستعمرات ، والانضمام الى مجلس اللوردات باسم البارون باسفيلد . وفي أغسطس — آب ١٩٢٩ ، أي بعد تأليف الحكومة بأسابيع قليلة، تسبب الاستفزاز الصهيوني بحوادث عنف في فلسطين ذهب ضحيتها أكثر من ٢٤٠ قتيلا وحوالي ٦٠٠ جريح من كلا الطرفين اليهود والعرب ، وهكذا وجد سيدني ويب نفسه متورطا في المشكلة . ثم انه اصبح على الفور هدفا للضغوط الصهيونية .

كتبت بياتريس ويب في يومياتها في الثاني من سبتمبر — أيلول ١٩٢٩ : « استيقظ مذعورا على الاحداث المفجعة في فلسطين ، وحوله كان اليهود وأنصار اليهود ، من الكبار والصغار ، يتحركون ويضجون ويئزون وهم في حالة من الهياج والاسى العنيف ، مطالبين بالانتقام والتعويض . ومما هو جدير بالملاحظة ، انه لم يكن هناك قط أي ممثل للعرب ، ولا حتى نصير واحد للعرب ، ظهر ولو صدفة وعرضا » .

كتب الدكتور دراموند شيلدز (الذي حمل لقب سير فيما بعد) ، نائب منطقة ادنبره ايست ووكيل وزارة الدولة لشؤون المستعمرات ، كتب في وقت لاحق يقول انه « لم تكن هناك قط اية فرصة للراحة او التهرب » من قضية فلسطين : « وكان ممثلو الصهيونيين في لندن يطلبون بلا انقطاع اجراء مقابلات مع وزير الدولة ، ومعي ، ومع رئيس قسم فلسطين (...) وكانت هناك حملة دعاوية صهيونية عنيفة في الصحافة وفي البرلمان . لم تكن هناك أية وكالة عربية او تمثيل للعرب في لندن في ذلك الحين ، ولم يكن هناك أي طرف يعرض القضية العربية على الرأي العام (...) ولم يكن هناك سوى صوت الجانب الصهيوني في قضية فلسطين يردده في كل مكان ، وكان هذا الجانب الصهيوني يوجه ضغطه بلا هوادة على مكتب المستعمرات ، سواء من خلال أعضاء البرلمان او غيرهم (...) ومن اليسير ان نتخيل ان سيدني ويب وجد المسألة مويصة . لقد كانت هذه قضية تعطل فيها أي حوار عقلاني »(١٥).

وحاول ويب ان يكون عقلانيا في الكتاب الابيض الذي أصدره ، الوثيقة الرقم ٣٦٩٢ ، والذي نشر في اكتوبر — تشرين الاول ١٩٣٠ . كان هذا الكتاب بيانا سياسيا بارزا ، نتج عن تحقيق دقيق وتقويم متمعن بعد دراسة وافية لدقائق الامور على الطريقة الفابية ، بريادة الجمعية الفابية . واحتوى الكتاب الابيض على اول اعتراف من الحكومة البريطانية بما نزل بالفلسطينيين من مظالم ، وأكد بقوة ان الحكومة ملزمة بحماية مصالح الفلسطينيين مثلما هي ملزمة بتأييد الهجرة اليهودية . وعرض